في حادثة المرأة والكتابة تقع المرأة الكاتبة في هذه الهوة العميقة الممتدة ما بين الهوية المكتسبة والهوية المفقودة. بين الجزء المقتول من الذات والجزء الذي يحتاج إلى صراع مرير للحفاظ عليه. ولكي تكسب المرأة شيئاً وتدخل في النهار الساطع لا بد أن تخسر أشياء. وما بين الكسب والخسارة تنشأ الكتابة في علاقة جبرية مع الاكتئاب ويتلازم القلم والألم. وتنكسر الذات المؤنثة من داخلها مثل انكسار لؤلؤة خرجت من محارتها حيث البيت والليل والستر إلى النهار والكشف والشارع الفسيح. وفي هذه الحالة لن تكون الكتابة (تجلياً لذات تفكر وتعرض وتقول ما تفكر فيه وما تعرفه، بل ستغدو مظهراً لتبعثر الذات وانفصالها عن نفسها. إنها مكان كله خارج، لا باطن له، تنبسط عليه مجموعة من المواقع المتمايزة للذات)[12].

هذا المكان الذي هو خارج لا باطن له هو مكان المرأة في الكتابة، حيث تتبعثر الذات وتنفصل اللؤلؤة عن المحارة وتخرج من رحم الحكي إلى نهار اللغة الباهر للبصائر.

هنا لن تكون الكتابة تطهيراً ـ حسب إغراء نظرية أرسطو ولكنها إيقاظ لفتنة كانت نائمة، واشعال لنار كانت خابية. هذه صفة حادثة المرأة مع الكتابة. حيث تبرز الهستيريا بوصفها (جسداً يتكلم) لكي يخترق قواعد الرمز الذكوري ويتحداها. على أن (الهستيريا في الخطاب النسوي أصبحت ذات دلالة لأنها صارت تخلخل الطبقيات وتتحدى أنظمة المعنى الجديد).[13]

(12) كلمات من ميشيل فوكو: حفريات المعرفة، ص 53، من ترجمة سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء 1986.

(13) انظر: C.B. Burroughs and J.D. Ehrenreich: Reading The Social Body 167 University of lowa, lowa City 1993.